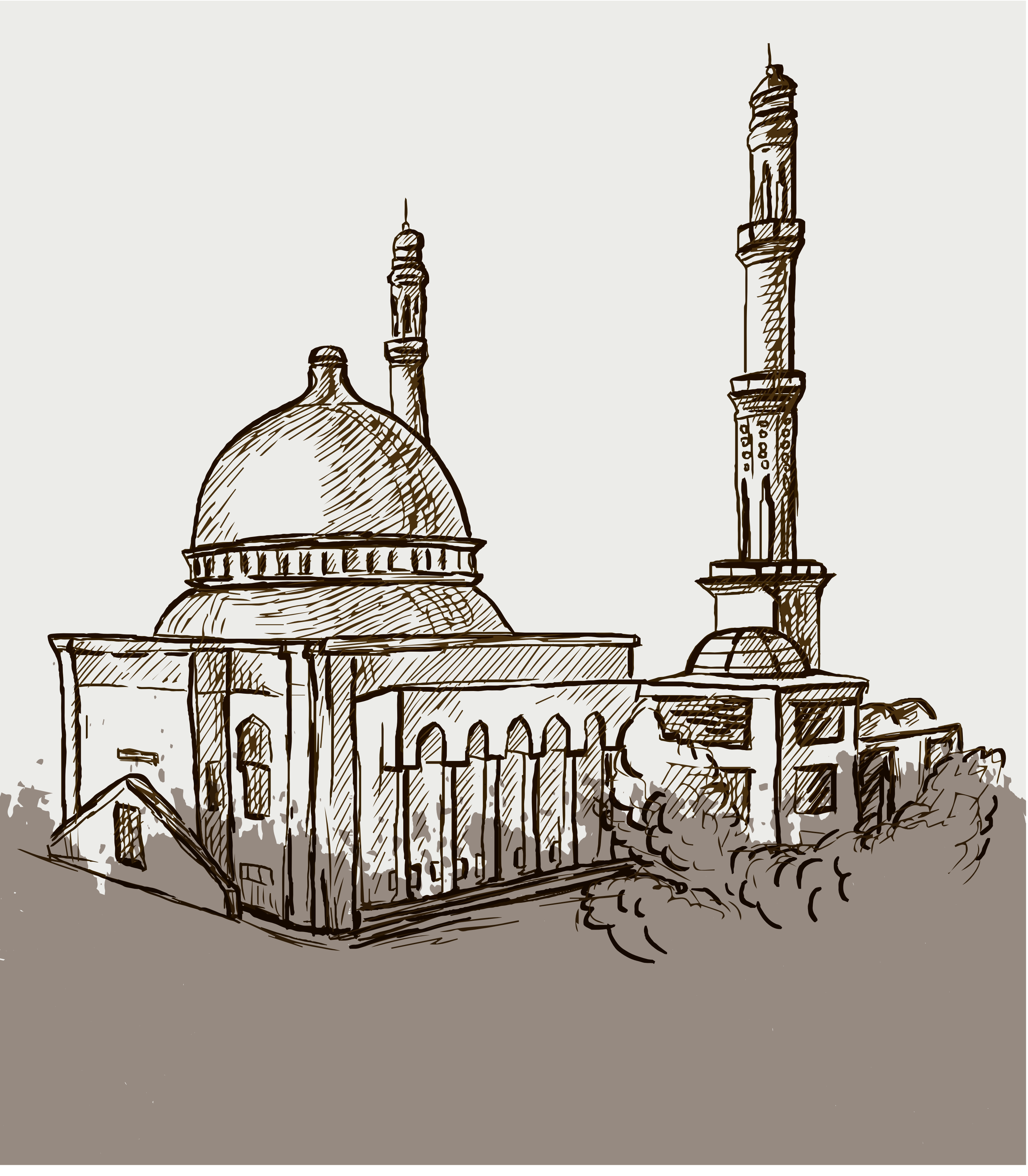

الحديث ١١٣

الأعمال بالنيات

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

١ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ.

٢ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى.

٣ فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ.

٤ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» متفق عليه(٩٦).

(٩٦) البخاريُّ (٦٦٨٩)، ومسلمٌ (١٩٠٧).

آيـــات

- ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].
- ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]
- ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].
- ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠].
- ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]

الراوي

عمرُ بنُ الخطَّاب القرشيُّ العَدويُّ ﷺ، ثاني الخلفاء الراشدين، وأحدُ العشَرة المبشَّرين بالجنَّة، لُقِّب بالفاروق، لكونه يميز بين الحق والباطل، أسلم سنة ٦ من البعثة، وكان إسلامه عزًّا للإسلام والمسلمين، وشهد المشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وتولَّى الخلافة بعد وفاة أبي بكر الصدِّيق ﷺ سنة (١٣هـ)، واشتهر بالعدل والإنصاف مع الشدة والجرأة في الحق، وفي عهده فُتحت أكثر البلاد مثل العراق والشام ومصر وغيرها، استُشهد سنة (٢٣هـ)، ودُفن في حجرة عائشة ﷺ، بجوار النبيّ ﷺ وأبي بكر الصدِّيق ﷺ(١).

خلاصة

أخبر النبي ﷺ أنَّ الأصل في اعتبار وقبول الأعمال: النية، فبها تتميز العادات من العبادات، ويتميز العمل الصالح من الفاسد. وقد يتفق العمل المباح أو المشروع من رجلين، إلا أنَّ أحدهما نوى نية الطاعة فأُجر عليها، والآخر لم ينوها فلم يُؤجر. فمن هاجر من بلده إلى بلدٍ آخر مخلصًا لله تعالى ومتبعًا لسنة نبيه ﷺ فهو مأجور، ومن هاجر لغير ذلك فلن يحصل على غير نيته.

(١) يراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة لأبي نعيم» (١/ ٣٨)، «أسد الغابة لابن الأثير» (٤/ ١٣٧)، «الإصابة لابن حجر» (٤/ ٤٨٤).

فقه

هذا الحديث من أهم أحاديث الدين كلِّه، حتى قال أهل العلم: إنَّ هذا الحديث يمثل ثُلُثَ الإسلام[٩٧].

١ بالنية تكتسب الأعمال صفة معتبرة، **والنية ما يتوجه له القلب ويقصده بعمله**، فتتميز العبادات من العادات، وتتميز أنواع العبادات عن بعضها، وتُقبل الأعمال إن كانت لله تعالى أو تُردُّ.

٢ وقد تتشابه الأعمال والنيات مختلفة، وإنما يؤجر الإنسانُ بحسب ما نواه من العمل، فإن نوى خيرًا أُجر عليه، وإن نوى شرًّا عُوقب عليه، وإن لم ينوِ شيئًا فلا له ولا عليه، بل تتفاوت درجات العمل بدرجة النية.

والنية الصالحة لا تُصلح العمل الفاسد، فقد ابتدع قومٌ طريقة في الذِّكر غير مشروعة، فلما أنكر عليهم عبد الله بن مسعود ﵁ قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير. قال: «وكم من مريد للخير لن يصيبه»[٩٨].

٣ ثم فصَّل النبيُّ ﷺ المسألة، وضرب المثال على ذلك **بالهجرة** -**وهي الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام**-؛ فمن كانت هجرته **إلى الله** تعالى؛ مخلصًا له فيها ومتعبدًا له، **وهجرته للرسول** ﷺ انقيادًا لأمره، ومتابعة لسنته، فتلك الهجرة الحقيقية التي تستحق الذكر والتعظيم.

ولم يذكر النبيُّ ﷺ الأجرَ هنا تعظيمًا لهذا الأجر، كما أخفى الله عز وجل أجر الصوم عندما قال في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به»[٩٩].

٤ ومن هاجر لغرضٍ دنيوي -كتجارة يحصّلها أو امرأة يتزوجها-، فإن هجرته لا عبرةَ بها شرعاً، ولا يؤجر عليها، مع أن الهجرة من أعظم الطاعات -فكذلك سائر العبادات-، وهجرته إنما تنسب لعمله الذي نواه.

ولم يذكر النبيُّ ﷺ أن له أجراً، لأن مقصوده ليس عبادة محضة، ولتفاوت الناس في هذا المقصود.

(٩٧) «شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد» (ص: ٢٤)، «جامع العلوم والحكم لابن رجب» (١/ ٧١).
(٩٨) سنن الدارميّ (٢١٠).
(٩٩) البخاريُّ (٥٩٢٧)، ومسلمٌ (١١٥١).

اتباع

١ حسِّن نيتك، وراقب قلبك، واجتهد أن تكون أعمالُك كلها لأجل طاعة الله تعالى؛ فإن النبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ؛ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»[١٠٠].

٢ لا تغترَّ بظاهر عملك أو عمل غيرك مع سوء السريرة، فالأعمال مرتبطة بالنية.

٣ أكثر من نية الخير، فنية المؤمن أبلغ من عمله، لأن إن نوى العمل الصالح أُجِر، سواء تيسر له العمل أو لم يتيسر، قال النبي ﷺ وهو راجعٌ من غزوة تبوك: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ»[١٠١]، وفي الحديث: «رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ، يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا، وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ: فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ....»[١٠٢].

٤ كان السلفُ ﷺ يتعلمون النية -بالمراقبة والتهذيب وقصد الخير- كما يتعلمون العمل. قال يحيى بن أبي كثير: «تعلموا النية؛ فإنها أبلغ من العمل»، وقال سفيان الثوري: «ما عالجت شيئًا أشدَّ عليَّ من نيَّتي؛ لأنّها تنقلب عليَّ»[١٠٣].

٥ بالنيةِ تتحول العادات إلى عبادات؛ فإذا أكل نوى تقوية بدنه على الطاعات والعبادات والأعمال، وإذا عمل أو تاجر نوى إعمار الأرض، ونفع المسلمين، وتحصيل المال الذي ينفق منه على أهله بالحلال الطيب، وإذا طلب العلم نوى نفع نفسه والناس بسلوك طريق الأنبياء والعلماء، وإذا أراد النوم نوى إراحة جسده ليستطيع مواصلة العمل والعبادة، فيؤجر على جميع ذلك. قال معاذ بن جبل ﷺ: «أَمَّا أَنَا فَأَنَامُ وَأَقُومُ، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي»[١٠٤].

(١٠٠) مسلم (٢٥٦٤).
(١٠١) مسلم (٤٤٢٣).
(١٠٢) أحمد (١٨٠٢٤)، وابن ماجه (٤٢٢٨).
(١٠٣) «جامع العلوم والحكم لابن رجب» (١/ ٧٠).
(١٠٤) البخاريُّ (٤٣٤٤).

٦ إذا كنت ستعمل عملًا ولا بد فاستحضر نية لعبودية الله تعالى فيها، قال زُبيد اليمامي: «إنّي لأحبُّ أن تكون لي نيّة في كلِّ شيء، حتّى في الطّعام والشّراب»، وإذا كان العمل صغيرًا في نظرك فاستحضر عظمة الله تعالى ومجازاته ومحبته لتقرب العبد إليه، قال عبد الله بن المبارك: «رُبَّ عمل صغير تُعظّمه النية، ورُبَّ عملٍ كبير تصغِّره النية»(١٠٥).

٧ كن يقظاً، وتجنب مداخل الشيطان بأن يحرف عباداتك لمراءاة الناس بعملك، وتعظيمهم لك، فتخسر، قَالَ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(١٠٦).

٨ اجمع بين النية الصالحة والمتابعة للرسول ﷺ، فتلك حقيقة الهجرة إلى الله تعالى ورسوله ﷺ، قال الفُضيلُ بن عياض في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، قال: «أحسنُ العملِ: أَخلَصُه وأَصوَبه، وأخلصه أن يكون لله تعالى وحده، وأصوبه أن يكون على السُّنَّة، فالعمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا، لم يُقبَل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبَل»(١٠٧).

قال الشاعر:

إِذَا شِـئْتَ أَنْ تُدْعَـى كَرِيـمًا مُهَذَّبًـا ... تَقِيًّـا سَرِيًّـا مَاجِـدًا فَطِنًـا حُـرًّا
فَكُـنْ مُخْلِصًـا للهِ جَـلَّ جَلالُـهُ ... وَكُـنْ تَابِعًـا لِلْمُصْطَفَـى تُحْرِزِ الأَجْرَا

(١٠٥) «البحر المحيط الثجاج للإتيوبي» (٣٢/ ٦٠٦).

(١٠٦) مسلم (٢٩٨٥).

(١٠٧) «جامع العلوم والحكم لابن رجب» (١/ ٧٢).